الدرس الأول:

الإسلام دين الجمال

الإسلام دين الحقّ والخير والجمال؛ لأنّه حقّ كلّه، وخير كلّه، وجمال كلّه، فلا باطل فيه، ولا شرّ فيه، ولا قبح فيه. لأنّ المعبود الذي يدعونا إليه هو الحقّ، وهو فاعل الخير، وهو الجميل الذي لا يضاهي جمالَه جمالٌ، وربنا تعالى جميل يحب الجمال. والقرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى كتاب يقول الحق، ويهدي إليه، ويأمر بالخير وينهى عن الشر، ويعبّر عن كل ذلك بلغة هي الذروة العليا من الجمال: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ الإسراء: الآية ١٠٥. والرسول محمّد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله إلينا حق، كان جميل الصورة، جميل الروح، جميل الحديث.

وبما أنّ هذه القيم الثلاث مجتمعة في الإله المعبود، وفي الكتاب المنزل، وفي الرسول المبعوث، فإنّ أحسن أحوالها أن تكون كذلك متداخلة في حياة البشر. والدعوة إليها إنما تكون بالكلام الجميل الذي تأنس به المسامع وترتاح إليه القلوب قال الله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ البقرة ٨٣، وقال: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل الآية ١٢٥.

مفهوم الجمال في اللغة العربية:

جاء في (لسان العرب) لابن منظور: " الجمال " الذَّكر من الإبل وفي القرآن الكريم: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ الأعراف الآية ٤٠. قال الفراء: الجمل هو زوج الناقة وقد ذكر ابن عباس أنه قرأ الجمّل " بتشديد الميم " بمعنى الحبال المجموعة، والجمل أيضا السمكة الضخمة، والجمال مصدر الجميل، والفعل جَمُل. وقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ النحل الآية ٦، أي بهاء وحسن. قال ابن الأثير: والجمال يقع على الصور والمعنى. ومن الحديث الشريف الذي رواه مسلم ﴿ إنّ الله جميل يحبّ الجمال ﴾ أي حسن الأفعال كامل الأوصاف. وتقول العرب: الجميلة هي السمينة من الجميل وهو الشّحم.

حقيقة الجمال:

قال الكاتب المسلم المعاصر صالح الشامي:

الجمال حقيقية ثابتة في كيان هذا الوجود، وهو قيمة من القيم العليا تعلو عن المنفعة واللذة، وهو سمة بارزة في الصنعة الإلهية، وإنّ وجوده فيها مقصود لا عرضي، وإنّ من خصائصه العموم والشمول، وهو الذروة دائماً إذ به تُستكمل القضايا والأشياء، وإنّ المنهج الإلهي واحد من ميادينه يقوم الجمال في مادته وفي أسلوبه.

وسمات المنهج هي المقاييس الجمالية الثابتة، وإنّ تطبيق المنهج يحقّق الجمال في الحياة، وإنّ الطبيعة ميدان من ميادينه وإنّ وجوده فيما لا نُبصر منها كوجوده فيما نُبصر. والإنسان واحد من ميادينه.

الجمال نوعان:

ــ الجمال الحسّي هو التناسق في كل موجود لا عوج في خلقه ولا اضطراب.

ــ والجمال المعنوي اقتران الجمال في هذا المجال بالصبر والصفح والكرم والشجاعة والبطولة وكلّ خُلق مستقيم حتى إنّه مقرون بأنماط شتّى من السلوك البشري المستقيم.

الجمال في الطبيعة وفي الحيوان وفي الإنسان:

قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ السجدة الآية ٧.

١) في الطبيعة:

في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نصوص تبرز قيمة الجمال في الطبيعة وتدعونا إلى التنّعم بهذه النعمة العظيمة والتأمّل في قدرة الله تعالى من خلالها.. الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى والذي صوّر فأجاد وأحسن.. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُواْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِن فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ سورة ق الآية ٨/٧.

وقال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُواْ شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ النمل الآية٦٠.

وتأمّل هذه الآية الكريمة التي تدعو إلى النظر إلى ثمر النبات وينعه: ﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام الآية ٩٩. والنظـــر إلى الثمر واليَنع لا ينفكّ عن رؤية ما فيه من بهجة وجمال. فكما أنّ خَلْقَه آية، وما فيه من غذاء آية، فجماله أيضاً آية لقوم يؤمنون.

٢) في الحيوان:

إنّ عالم الحيوان والطيور والحشرات لو نظرنا فيه نظرة تأمّل لوجدنا فيه الجمال العجيب يعجز الإنسان عن تفسيرها ولا يسعه عند إدراكه إلاّ أن يقول: سبحان الله الذي خلق فسوّى ، وقدّر فهدى.

قال الله تعالى: ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ النحل الآية ٧/٥.

وقال تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل الآية٨.

٣) في الإنسان:

أما جمال الإنسان، يقول فيه الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره المسمى " الجواهر " الجزء ٢ الصفحة ٤٦ في صدد الكلام عن بدائع صنع الإنسان:

((ويا ليت شعري أيّ هندسة وأيّ نظام وأيّ مقياس كان في الرحم حتى صنع هذه المقاييس أثناء مرور الجنين بأطواره وجعل أعضاء الإنسان وحواسه مرتّبة منظّمة.

١) بحيث تكون قامته ثمانية أشبار بشبره هو، ويكون من رأس ركبتيه إلى أسفل قدميه شبران، ومن ركبتيه إلى حقويه شبران، ومن حقويه إلى رأس فؤاده شبران، ومن رأس فؤاده إلى مفرق رأسه شبران بنسب متساوية كما تساوت نسب الأصابع في اليدين وفي الرجلين.

٢) وإذا فتح الإنسان يديه ومدّهما يمنة ويسرة كما يفتح الطائر جناحيه وجد أصابع يده اليمنى إلى رأس أصابع يده اليسرى ثمانية أشبار نصفها عند ترقويه والربع عند المرفقين.

٣) وإذا رفع يديه إلى ما فوق رأسه كان ما بين أطراف أصابع يديه إلى أصابع قدميه عشرة أشبار، وذلك قامته وربعها.

٤) وطول وجهه من منبت الشعر فوق جبينه إلى رأس ذقنه شبر بشبره.

٥) وبعد ما بين أذنيه شبر وربع.

٦) وطول شقّ كلّ عين من عينيه ثمن شبره.

٧) وطول إبهامه وطول خنصره متساويان.

وهذا قلّ من كثر من المقاييس العجيبة التي في جسم الإنسان وذلك كلّه إذا كان طبيعياً معتدلاً)). وصدق الله تعالى القائل:

ـــ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين الآية ٤.

ـــ ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ التغابن الآية ٣.

ـــ ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ الانفطار الآية ٧/ ٨.

<u>هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتناء بالجمال:</u>

الرسول محمّد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله إلينا حق، نعرف نسبه، ومولده، ونشأته، وصفاته، بل نعرف عنه ما لا يعرف أحد عن بشر سواه. وكان متصفاً بكل صفات الخير، قال عنه الله سبحانه: ﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم الآية ٤، وقالت عنه زوجه التي عرَفَت مداخله ومخارجه: (كان خُلُقه القرآن) رواه أحمد. فكان صادقاً، أميناً، وفيًّا، كريماً، رحيماً، شجاعاً، صبوراً. وكان جميل الصّورة، جميل الرّوح، جميل الحديث، جميل السّلوك.

كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثالاً تطبيقياً لما دعا إليه القرآن الكريم فقد كان صلى الله عليه وسلم معتنياً بمظهره فكان يقصّ شعر لحيته ويأخذ من طولها وعرضها بما يتناسب مع خلقته وهو القائل: (إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فإنّ الله يحبّ الجمال) رواه مسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم يتأنّق في ملبسه نوعاً وخياطة ولوناً فقد لبس صلى الله عليه وسلم البرود اليمانية، وكان يبعث بملابسه إلى من يخيطها في بني النجار إذ كان منهم من يتقن الخياطة، وكان يكره لنفسه ولأصحابه تعمّد اختيار الألوان الصارخة الجالبة للأنظار فكان ينهى عن لبس الأحمر غير المشوب بغيره، كما كان يختار ألواناً خاصّة لمناسبات خاصّة، لما يوحي به اللّون من طبيعة الموقف فقد دخل مكة معتمراً بعمامة سوداء للإشعار بجديّة الموقف، كما كانت تصرّفاته صلى الله عليه وسلم في نفسه وفيما يأمر به المؤمنين تراعي مقتضيات الجمال والانسجام، إلى الحدّ الذي أكسب فيه هذا الإحساس بالجمال.